مقياس علم اجتماع المخاطر

السنة الثالثة: الفوج ()

إعداد الأستاذة: سعدي حسينة

حصة تطبيقية ثالثة: علم اجتماع المخاطر وعوامل النشأة:

تمهيد: إن انتقال المجتمعات من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الصناعية ثم الحداثة أنتج مخاطرا مباشرة وغير مباشرة، وظاهرة وخفية، حادة وضعيفة، وذلك في شتي المجالات: الاجتماعية و السياسية والاقتصادية والبيئية، الصحية والثقافية والعرقية والاثنية، مما يعبر عن انعكاسات الحداثة و تأثيراتها السلبية على المجتمعات الانسانية أين أصبحت ظاهرة الخطر و المخاطرة في علاقتهما بالحداثة والعولمة من المواضيع المقلقة في الحقل السوسيولوجي المعاصر والتي تعد من بين العوامل الرئيسة في بلورتها وانتشارها حيث صاغ الريش بيك مفهوم الحداثة الثانية في حين عبر عنها أنثوني جيدنز بالحداثة الانعكاسية الناتجة عن تطور التقنية والتكنولوجيا والعلوم بشتي أنواعها، ما أوجب تغيرات في الحياة الاجتماعية بكل أبعادها الثقافية و الاقتصادية و السياسية، البيئية.....إلخ. الأمر الذي اقتضي وجود مجتمع جديد أو بمعالم جديدة تغيب عنه أنماط الحياة المستقرة، لأن حدة الخطر تنمو وتزيد بشكل متصاعد أين تحمل المخاطرة من الدلالة والمعاني الخاصة بالمجتمعات التي هي محل دراسة مع الاشارة إلى العوامل المساهمة في بلورة علم اجتماع المخاطر، كبحث أولي أو مدخل لفهم بسيط لكيفية بروزه؟ و ماذا نعني بالخطر و المخاطرة؟ و ماهي العوامل المساهمة في إنتاج المخاطر بكل أنواعها؟

-**تعريف المخاطرة:** المخاطرة تعني (risque) والخطر يعني (Danger).

هنا تعتبر المخاطرة فعل أو أداء يتعلق بتأثيرات أحداث أكثر منه واقعة صرفة، حيث سابقا كانت المخاطر عبارة عن أخطار عملية يعيشها أفراد المجتمع المحلي والمجتمعات التقليدية عموما حيث مفعول آثارها ونتائجها محدود بالزمان و المكان. و التي تطورت إلى سلوكيات مقلقة و مهددة للمجتمعات و القوميات والتي تعد على المستوى الشخصي تجربة ذات معطي سلبي يهدد التوازن السابق، فهي مفاجأة سيئة ينظر إليها باعتبارها تهديدا كامنا حول الحياة الخاصة خارج كل السيطرة.

إن الفرق بين الخطر والمخاطرة يتعلق بمفهوم التهديد، الذي هو الجانب الديناميكي و الحيوي لقضايا العصر: السياسية، الاقتصادية، الأثنية، البيئية والصحية....إلخ، وعليه يأخذ الخطر أبعادا متعددة تحمل صفة التهديم. فالخطر هو تهديد للأشخاص أو الأشياء ذات قيمة لديهم. المخاطرة إذن هي قياس التهديد مع احتمال الخسارة المقدرة واحتمال هذه الخسارة مرتبط بالظاهرة التي تمثله.

يعبر عنها مورفي (Murphy) (Pardo, Loccit) (1994) بالطبقات البيئية.

يعرف بول سلوفيتش (Paul Slovic) المخاطرة بأنها:

"قيمة ثنائية الأبعاد تميز الحدث غير المرغوب فيه من جهة و احتمال وقوع الحدث غير المرغوب فيه، و من جهة أخرى شدة الضرر المحتمل".

و عليه يحتل موضوع المخاطر في الأبحاث الاجتماعية مكانة محورية، خاصة في الفترة الممتدة ما بين (1980-1990) التي تميزت بحدوث كوارث إنسانية مدمرة في الغرب، الأمر الذي استدعي محاولة إدارتها. عموما يمكن الإشارة إلى مفهوم المخاطرة من حيث أنها:

-تعريف موضوعي: هو نموذج من تمثل (représentation) لحوادث، التي تفسر وتحلل ضمن حساب احتمالي.

-تعريف واقعي سوسيولوجي: يتعلق الأمر بالخصائص والتأثيرات التي ترتبط بنشاط خارجي يشمل متعدد (الاقتصادي، الاجتماعي، الصحي و البيئي....) ومدى إدراك الفاعلين الاجتماعين من خبراء تقنين و سياسيين لهذه القضايا.

مهما كانت الصفة التي تكتسبها الحداثة سواء كانت ثانية أو انعكاسية فهي تمثل مجتمع المخاطر، والتي حسب الريش بيك تتمظهر في عقلنة الحياة الاجتماعية، هذه الحداثة العقلانية هي سمات حياتية معولمة تمثل تقليدا جديدا حسب تعبير هارولد هايزنبرغ. الأمر الذي يدفعنا لتحليل عوامل التطور والعولمة في ظهور مجتمع المخاطر و بالتالي ظهور علم اجتماع المخاطر.

عوامل ظهور علم اجتماع المخاطر:

– الحداثة والعولمة: الحداثة تمثل نمطا حضاريا يمس جميع جوانب الحياة والنشاط والحياة الانسانية و التي تتجسد في دولة حديثة واقتصاد و وجود ايديولوجية التغيير و الفردنة والأخلاق،

كنوع من تجاوز الماضي وعدم التقييد بالدين، ما يعبر عن قطيعة فكرية و أخلاقية مع المعتقدات اللاعقلانية، لأن بدايات القرن العشرين شهدت نموا اقتصاديا و تقنيا مع الارتكاز على الأبحاث العلمية والنشاط العلمي، مما أنتج عنه مخاطرا نتيجة هذا التطور و الذي هو مظهر لفوضى العلوم والتقنيات. و قد نشير إلى بدايات الثمانيات والتسعينات انتقلت المخاطر كمحتوي" اجتماعي" التوزيع الاجتماعي للمخاطر من القرن الماضي كظواهر وأحداث، كالأحداث التكنولوجيا الكبرى، التلوث البيئي، ثقب الأوزون، انتشار الأمراض والأوبئة كمرض جنون البقر، الايدز، إلى مخاطر فردية تهدد حياة الأفراد الصحية والثقافية والاقتصادية.... وهذا نتيجة تسارع التغيرات العلمية والتكنولوجيا الناتجة عن العولمة، مما يؤكد عمق تأثير هذه الأخيرة على حياتنا اليومية. فالمخاطر إذن وليدة المجتمع الصناعي الذي عرف تحولات عميقة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، ما أدي إلى أزمة في الروابط الاجتماعية.

ولا شك أن دور المخاطر في المجتمعات يحمل تهديدات خارجية وداخلية خاصة بالأخطار السياسية و الارهابية و الجماعات الايديولوجية. كما أن في الحداثة المتقدمة الانتاج الاجتماعي للثروات مرتبط بالإنتاج الاجتماعي للمخاطر. ما يتنج فجوة اقتصادية بين فئات المجتمع الواحد وحالة من الصراعات الاجتماعية.

إن انعكاس الحداثة على المجتمع الانساني يحوله من مجتمع صناعي إلى مجتمع مخاطر يزيد في ديناميكية المجتمع العالمي للمخاطر. لأن الأخطار و التهديدات تحمل صفة العالمية وهذا ما سماه الريش بيك "بالمجتمع العالمي للمخاطر"، بما يهدد أمننا و استقرارنا خاصة نتيجة التقدم النووي و الكيمائي الذي أحدث عواقب وخيمة علي البشرية، أهمها كارثة مدينة بوبال الهندية الذي وقع فيها انفجار في مصنع كيمائي أدي إلى تسمم نصف مليون إنسان خلال ساعة واحدة فقط، ووفاة 4000 في نفس اليوم. و عموما بلغ عدد القتلى 16 ألف إنسان اضافة إلى أن آلاف الأشخاص فقدوا أبصارهم. كذلك نجد بعض الكوارث حدثت في الاتحاد السوفياتي ككارثة تشرنوبيل المحطة الكهر ذرية لسنة 1986، التي أدت إلى مقتل 100 ألف شخص.

(كذلك كارثة المنصة النفطية بايبر ألفا، سنة1988 ،كارثة انفجار مصنع الكيمائيات في تولوز الفرنسية،2001، كارثة محطة فوكوشيما الكهر ذرية اليابانية،2011.)

و المتمعن في مفهوم العولمة يدرك أن هذه الأخيرة تساهم في انتشار الأمراض لأنها تسهم في سرعة الاتصال و تنقل البشر و التي تعرف على أنها: " التدفق الحر للمعلومات و الأفكار والسلع الخدمات ورؤوس الأموال بغير حدود ولا قيود".

كما يمكن الاشارة أيضا إلى مخاطر استعمال المواد الكيماوية في الانتاج الزراعي خطرا يحدر منه العلماء حاليا نظرا للعواقب الخطيرة التي يمكن أن تتحقق مستقبلا. هذا التنبؤ يجعل من أوجه المخاطر متعددة كالمصنعة و البيئية و الصحية.... ما يؤدي دوما إلى ظهور دوما مخاطر جديدة.

و إن كان أنثوني جيدنجر يربط المخاطر بالجوانب التي تتطرق في حياتنا الاجتماعية (المشكلات التربوية والتعلمية، انعدام الأمن الوظيفي بسبب ارتفاع معدلات البطالة، أزمة الهوية والشخصية المعاصرة، ما أدى إلى عدم استقرار مستقبل الأفراد الشخصية.

كما يري الريش بيك أن المخاطر تؤثر على خيارات الأفراد فيما يتعلق بالمؤهلات والمسارات التعلمية و المهنية لأنه يصعب التنبؤ بطبيعة تلك الأخيرة حيث تكون بعض المهن والخبرات عرضة للزوال و التغيير، الأمر الذي يحدث حالة من استحداث مهن جديدة. ومن المؤكد أن عامل التحولات الاقتصادية والعولمة تؤدي إلى تغييرات جدرية تزيد من تفاقم المخاطر.